المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

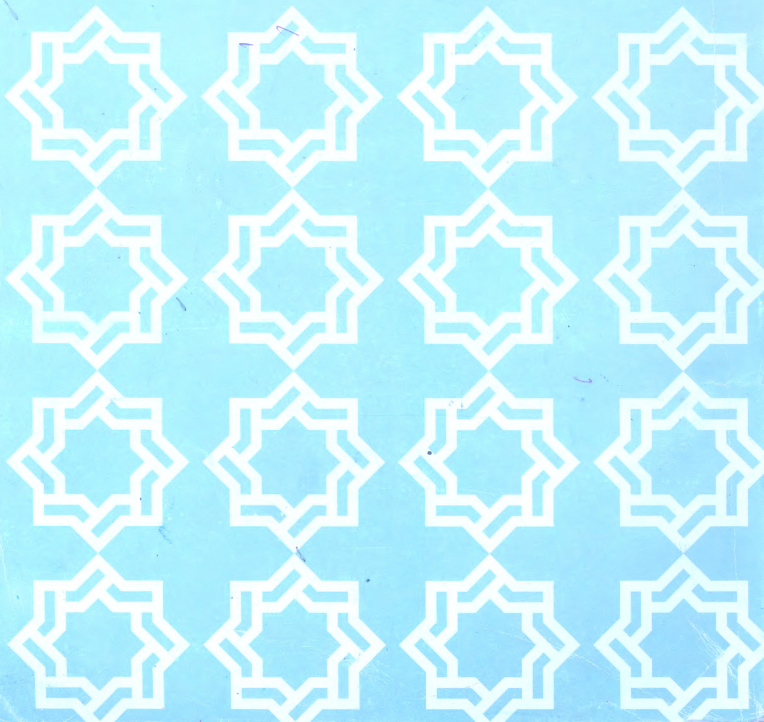

المســـاعد

للكرملي ، تحقيق كوركيس عواد وعبدالحميد العلوچي

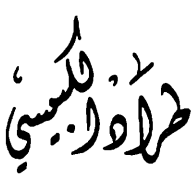

« بعد أن أفلحنا في احتياز « المعجم المساعد » كان لنا معه لقاء مثير .. فهـو بمجلداته الخمسة الضخام قد شوقنا الى استجلاء معالمه . فتناولناه برفق وتلطف ، وعاشرناه أنيساً ثابتـاً .. ولسرعـان ما وجدناه غابة مدغلة تشده المرء وتصرفه عن الايغال في ثناياها ومفارقها . انه معجم بلا تمهيد ولا مقدمة.. بل هو مسودة معجم تمردت مـواده على التنسيق الابجدي . وزلت عن ايمـا ترتيب . وقد استأثر مداده الاحمر بالعناوين ، واستبد الازرق والاسود والبنفسجي بالمضامين ، وتناثرت ملاحظ المؤلف ، هنا وهناك ، بين السطور وفي الزوايا وعلى الحواشي دونمـا روابط وبلا صوى ، وتساقطت الارقـام على ذيول العبارات تهدي لمهابط الصلات ومواطن الاقتباس من الملحقات الخمسة التي تردفت مجلدات المعجم » . (ص ٧٥) .

ذلك أن (المساعد) لم يكن الا في مرحلتـه الاولى ، مرحلة (التحقيق والتدقيق ، لا الترتيب ولا التبويب ..) كما قال الكرملي نفسه . ومن هذا ، ومن (وصف المخطوط) وتتبـع الخطوات التي أشار اليها المحققـان الفاضلان : الاستاذ كوركيس عـواد والاستاذ عبدالحميد العلوجي ، واتبعاها في تحقيق (المساعد) واخراجه ، يبرز لنا بوضوح ، كم هو شاق ، الجهد الذي بذلاه في اخراج هـذا الاثر اللغوي النفيس الى الوجود ، والذي اعتـذر المؤلف نفسه عن امكان تمامه واخراجه ، حتى (ولو كان له عمـر نوح ..) فقـد كان المرحوم الاب الكرملي ، لا يراعي اثناء عمله فيـه ، ترتيباً .. (لأننـا نعالج الموضوع بموجب ما يحضـرنا من اللفظ ، فنتنقل من وصف دابة الى دويبـة ، الى طائر ، الى سمكة الى حشـرة . اذ الغـاية الاولى والقصوى التحقيـق والتدقيق ، لا التـرتيب ولا التبويب .. اذ هذه الامور تأتي بعد الجمع والتأليف لا غير . (ص ٦٩) .

هذا فضلا عن أن طريقته في التصنيف المعجمي لم تكن بالطريقـة العمليـة (وتعد اليوم سقيمة) بالنسبة الى طريقة الجمع بواسطة الجذاذات مثلا .

ما هو المساعد ؟ وما هي مكانته بين مؤلفـات الكرملي ؟

« المساعد » ـ أو ذيل لسان العرب كما أسماه أولا ثم عدل عن هـذه التسمية ـ هـو : « موروث لغوي لامع ، فهو معجم فريد لم يرحم وهماً قديماً ، ولم يفازل غلطاً جديداً » . وقـد تجلت فيـه ألمعيـة الباحث الفيلولوجي البغدادي العلامـة الاب أنستاس مـاري الكرملي ، انتفاضة لغـوية جريئـة حافلة بالتشويق والابداع والاستهواء ، وموسوعة حضارية تجمع بين عبقرية الاجداد ووثبات الابناء ، ومنهجاً مقارناً يمد الكلمـة بالحرارة والحيـاة ، وبسالة في مواجهة الاصول اللغوية ، واستدراكاً على جميـع المعجمات العربية . (ص ٧ – ٨) .

أما عن مكانته بين مؤلفات الكرملي ، فأنه يقع في الطليعة منها ، بل (هو أجلّ مؤلفاته المطبوعـة والمخطوطة على الاطلاق وأعظمهـا شـأناً . سلخ في تأليفه شطراً كبيراً من حياته . وبتعبير أوضح انه بدأ بهذا المعجم منذ سنة ١٨٨٣ وظل يواصل العمل فيه حتى سنة ١٩٤٦ . (ص ٦٧) .

ولكن ما الدافع الى تأليفه ؟ يقول الكرملي : « منذ أخذنا نفهم العربية حق الفهم . وجدنا في ما كنا نطالع فيه من كتب الاقدمين والمولدين والعصريين ، ألفاظاً جمّة ومناحي متعددة لا أثر لهـا في دواوين اللغة ، بخلاف ما كنا نتعلمه من اللغات الغربية . فأننا كنا كلما جهلنا معنى كلمة ونقرنا عنها في معاجمهم وجدناها مع معانيها المتفرعة عنها . ولهـذا رأينا في مصنفات السلف اللغوية نقصاً بيناً ، فأخذنا منذ ذلك الحين بسد تلك الثغرة مدونين ما لا نجده في كتب لغاتنا ... » .

ليس هذا وحسب ، بل كانت تلك المعاجم ، القديم منها والحديث ، تميل الى الجمود ، وتفتقـر الى مناهج البحث الحديثة « ولا نرى فيهـا شيئاً من آثار البحث الجديد الذي امتاز به أهل المائة الماضية أو أهل هـذا القـرن من أبناء الغرب » ناهيك عن « الاغلاط التي انسلت الى لغتنا بما دسّه فيها بعض الوراقين أو النساخين ، أو دسّه فيهـا بعض ضعفاء النظـر من اللغويين أو من الاجانب المتعربين الذين أفسدوا لغتنا في حين ارادتهم الحسنى لها » .

واذا كانت الغـاية الاولى من كتب الاقدمين اللغوية ، تفهم القرآن والحديث لا غير . فأن حاجاتنا اليوم « اتسعت بتبحر العمران والحضارة ، واحتكاكنا بالاجانب ، ومحاولة هؤلاء الناس قتل لغتنا فقتل قوميتنا فقتل كل ما يتعلق بهـذه الربوع الشرقيـة العزيزة مهبط الوحي ومصدر العرفان ومنبع التمدن الصادق » (ص ٦٧) .

لقد كان الكرملي يرى أن اللغة العربية « قوام العروبة ، وانهـا نقطـة تلاقي العرب أجمع أنّى وُجدوا » ، وقتلها أو تشوهها يعني ، قتل العـروبة والعرب أو تشوههم . فنافح عنها ودافع غير خائف ولا وجل ، فكان أن « نفاه العثمانيون ، في خـلال الحرب العالميـة الاولى ، الى مدينـة قيصـري في الاناضول ، لأنهم تضايقوا منه بسبب مناداته باللغـة العربية والاشادة بمحامدها فمكث هناك سنةً وعشرة أشهر (١٩١٤–١٩١٦) ثم أُعيد الى بغـداد » (ص ٩) .

لقد كان الكرملي شديد التعصب للعربيـة ، صادق الود لها ، تشهد له بذلك آثاره العـديدة : المطبوع منها والمخطوط . بَلْه المفقود . ويشهد له بذلك أيضاً ، أساتذة اللغة وفضلاؤها . ولعله يكفي برهاناً على هذا الحب ، تعرضه للاضطهاد والنفي من أجلها كما ذكرنا أعلاه .

ان الآثار الفكرية العديدة المرامي والغايات التي

خلفها الكرملي في اللغة والنحو وفقه اللغة والتاريخ والدين والفولكلور والانثربولوجي ... بوأته الصدارة بين علماء عصره . وقد تناول الباحثون والنقاد هذه الآثار بالبحث والتحليل . وألفت في ذلك الكتب الكثيرة . وقد بذل المحققان الفاضلان جهداً محموداً في تقصّي هذه الآثار وفهرستها .

وبعد :

لقد تحقق الحلم الذي طالما تمنى الباحثون واللغويون ، رؤيته حقيقة واقعة . أعني (المساعد) الذي (سيكون مفخرة المفاخر للامة العربية في هذا العصر الحديث) كما قال الشرباصي في رسالة بتاريخ ١٩٤٢/٦/١٠ .

كل ذلك بفضل عناية وزارة الاعلام الفائقة بأخراج هذا المعجم النفيس الفذ بين سائر المعجمات العربية .

وبفضل جهود المحققين الباحثين الفاضلين : كوركيس عواد وعبدالحميد العلوجي . جهود جديرة بكل ثناء وتقدير . وكلنا أمل أن يُوفَّر لهما الوقت والتفرّغ التام للاسراع بأنجاز هذا العمل الخالد . ذلك أن سعة المعجم وضخامته ، وهو ما هو عليه من فوضى وعدم تبويب وترتيب في مسودته ، يحتاج لأن تُرصد له كل الجهود ، وتصفو له الخواطر ، ليكون بين أيدي المعنيين والقراء ، جاهزاً ، في أقرب وقت .

استدراك

في الهامش (١) على الصفحة (٦٥) ينبغي تصويب البيت المنسوب للبارودي على الوجه التالي :

فامطري لؤلؤاً جبال سرندِ
ب وفيضي آبار تكرور تبرا